كتاب

طيور السنونو دروسٌ تتعلّمها الحياة من الموت

تاريخ إسبانيا كحكايةٍ شخصية

في روايته الجديدة، «طيور السنونو»، يحكي الروائي الاسباني فرناندو آرامبورو قصّة توني، الخائب أمله في هذا العالم البشع، إنهاء حياته. لقد اختار مدرّس مادة الفلسفة في المدرسة الثانوية، والذي يتأخّر كثيراً في تعريف القارئ على اسمه، بشكل دقيق وهادئ موعد موته، تحديداً في الأول من آب/ أغسطس من عام 2019، أي بعد عام كامل من لحظة الكتابة.

حتى موعد الانتحار، سيكتبُ توني كلّ مساء في شقّته الواقعة في حي من أحياء مدينة مدريد، والتي يتقاسمها مع كليته ببيا، إضافة إلى مكتبته الشخصيّة التي تحتل قسماً كبيراً منها، لكنّه سيتخلى عنها تدريجيا، نوعاً من تاريخ شخصيٍّ قاسٍ وثمّ يصعب تصديقه إلى حدّ ما، لكنّه لا يخلو من نبرةٍ فكاهية وحنونة.

هكذا يبدأ توني بشكل دقيق في كتابة خلاصته الحيوية، فيتقاطع في يومياته مساران زمنيان: الأوّل، الذي يُخبرنا من خلاله، يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، الأحداث الرئيسة في ماضيه، إضافة إلى العديد من الشؤون اليومية المتعلّقة

جعفر العلوني

فرناندو آرامبورو في باريس، ربيع 2018 (إرتزاغي، Getty)

بإسبانيا التي تهزّها الاضطرابات السياسية، لا سيّما عندما يتناول بانوراما الحرب الأهلية مروراً بنظام فرانكو وانتهاءً بفترة الانفتال الديمقراطية؛ والثاني، مسار العام كاملاً، في انتظار تنفيذ لحظة الانتحار.

هذه هي قصة توني، بطل «طيور السنونو»، الرواية الجديدة للكاتب الإسباني فرناندو آرامبورو (مواليد سان سيباستيان، 1959)، والتي صدرت مؤخّراً عن دار نشر Tusquets الإسبانية، تحديداً بعد خمس سنوات على نشر روايته «وطن»، التي تحوّلت إلى «ظاهرة نشر أدبية»، بكلّ معنى الكلمة، لا سيّما بعد ترجمتها إلى 34 لغة وبَيع ما يقارب المليون نسخة منها فقط في إسبانيا.

يُحاول آرامبورو في روايته الجديدة أن يمزج العام بالخاص، تاريخ توني الشخصي مع تاريخ إسبانيا، قصّة حياته مع قصّة حياة الشخصيات التي يعرّف القارئ عليها، لا سيّما عائلته، وشقيقه الذي لا تربطه به علاقة جيدة، وزوجته السابقة أماليا، التي لم يستطع يوماً أن يقطع التواصل معها، حتى لو أراد ذلك، إضافة إلى ابنه الإشكالي نيكيتا وصديقه المخادع باتشوبيلا، وأخيراً أغيدا الطيبة، الخارجة مؤخراً من قصة حبّ مبتور.

كلّ هذه الشخصيات، إضافة إلى غيرها، والتي يشرّحها الراوي بمشرط حاد، تشكّل كوكبة بشرية رائعة تغزل خيوط رواية تتنوع فيها أشكال العنف، والحبّ، والعلاقات الأسرية، والمغامرات التي دائماً ما تنتهي عند الشخصية الرئيسة نفسها، توني، الذي يريد، بشكل مشوّش، أن يسرد آخر تفصيل حميمي من حياته، لكنّه يرى نفسه يجمع آخر أنقاضه، فيُعلمنا بذلك درساً لا يُنسى عن الحياة.

تجري أحداث «طيور السنونو» بين صيف عام 2018 وصيف 2019، وتلخّص بشكل شامل الواقع الاجتماعي والسياسي في إسبانيا، لا سيّما عبر شخصية الوالد، المناضل الشيوعي، وابنته توني الذي يختار مرشّحيه بشكل عشوائي، وابنه اليميني الذي وشم صليباً على جسده. ثلاثة أجيال ترسم قوس التاريخ الإسباني بشكله الأكثر تناقضاً وتضارباً في المواقف والرؤى، والتعامل مع الأحداث السياسية، وقبل هذا كله، العلاقة في ما بينهم. ضمن هذا السياق، نرى أن الكاتب يقدّم لنا مجموعة من السقالات التي تدعم فكرة انتحار بطله، لا سيّما عندما يتعلّق الأمر بمعنى هذا العالم. ومن هنا كان عنوان الرواية، الذي يشير إلى طيور السنونو ومواسم الهجرة والتحوّلات الدورية، أي الحياة كرحلة من التعب والفشل.

ولإثبات ذلك يسرد آرامبورو مجموعة من الحجج والبراهين: الزواج، الحب، الكراهية، العنف، التعليم، الوحدة، الصداقة، السياسة، العمل، الإثارة الجنسية، والثقافة؛ كلّها تتداخل في ما سيُنكر كرهه للعالم على طول الرواية. «لا أحبّ الحياة، هذا الاختراع الشرير، لا أحبّ تصوّرنا لها وعنها، أكره أيضاً ممارستنا لها». بهذه الطريقة سيبرّر توني عزمه على الانتحار. إن إظهار الخلفية المعقّدة لقرار عقلاني، ليس متسرّعاً للوهلة الأولى، وليس مرضياً كما يبدو، سيدفع بالكاتب الإسباني فرناندو آرامبورو إلى دقّةٍ سردية يكشف من خلالها عن براعة غير مألوفة، يقبض فيها على الزمن، بامسه وحاضره وغده، في تسلسلٍ رشيق يوجز الحياة ويلخّصها.

سيلاحظ القارئ عبر صفحات الرواية الطويلة، والتي يبلغ عدد صفحاتها السبعمائة، تعمّد المؤلّف تخصيص قسم كبير منها للحديث عن مدينة مدريد، كما لو أنّها شخصية رئيسية في العمل. وهنا، لا بدّ من الإشارة إلى الجهد الكبير الذي بذله الكاتب في التوثيق وسرد الأحداث التاريخية التي شهدتها المدينة، لا سيّما الاجتماعية والسياسية منها، والتي بدورها وفّرت له البيئة المناسبة لرسم معالم وتضاريس الشخصيات التي يطمح إليها.

«لقد أمضيت ثلاث سنوات وأنا أكتب هذه الرواية، غير أنني تمكّنت من تكريس وقتي لها بشكل مكثّف، مع تفاقم الأزمة الصحية. كنتُ أستيقظ باكراً وأنكبّ على الكتابة حتى نهاية كل يوم. انقطعت عن السفر وحبست نفسي بين قضبان اللغة في هذه اللعبة الأدبية. في الحقيقة، لقد أعطتني الظروف المحيطة وضعاً مثالياً للكتابة. على الرغم من أنني لا أعيش في مدريد، بل في ألمانيا، حيث أعمل كمدرّس لغةٍ إسبانية، إلّا أنني أردت أن أختبر عوالم جديدة في كتاباتي. فمدريد، بالنسبة إليّ، ليست تراكمَ مبانٍ وخليطاً من البشر والأشياء غير المترابطة، إنما هي، في المقام الأول، مخزنٌ ثريّ من التجارب الشخصية والقصص والحكايات»، يقول فرناندو آرامبورو عن روايته الجديدة، وهو على قناعة كاملة أن النقد ينتظر بفارغ الصبر هذه الرواية، لا سيّما بعد أن ترك سقف اشتغاله الأدبي عالياً مع روايته «وطن».

ثلاثة أجيال ترسم حاضر إسبانيا بشكله الأكثر تناقضاً

دقّة في السرد تكشف عن براعة نادرة في القبض على الزمن

بينها لتشكّل لنا صرحاً نفسياً متكاملاً يستطيع توني من خلاله النفاذ إلى أعماق الأشياء ومراقبة تصميماتها الداخلية المعقّدة، فتتكوّن لديه انطباعات وأفكار عن الوجود والعالم المحيط به، وليتحوّل في نهاية المطاف إلى شخص كاره للبشر وللوجود، على الرغم من أنه

بطاقة

بطاقة

وُلد فرناندو آرامبورو في مدينة سان سيباستيان الإسبانية عام 1959. بعد دراسته فيلولوجيا اللغة الاسبانية، انتقل، عام 1985، إلى ألمانيا، حيث كتب اولى رواياته: «نيران الليمون» (1996). بين عمله الأوّل هذا وروايته الاخيرة، «طيور السنونو» (الغلاف)، اصدر آرامبورو تسع روايات والعديد من العناوين في القصّة والمقالة، كما ترجم من الالمانية الى الاسبانية اعمالا لعدد من الكتّاب، من بينهم هاكس فريش وارنست هاغر.

متابعة

مهرجان جرش حيث يغيب معنى القصيدة

غاية الشعر جائزة!

الفعالية الشعرية الاكبر في البلاد تعبّر عن مشهد ثقافي تتحكّم به مؤسّسة رسمية تمتلك ذائقة تقليدية في الشعر، بوصفه احتفالية موسمية عابرة

عمّان ـ محمود منير

في كلّ عام، تشهد وسائط التواصل الاجتماعي اعتراضات لعدد من الشعراء الأردنيين على آلية اختيار المشاركين في «مهرجان جرش للفنون» الذي تنطلق دورته الخامسة والثلاثون الخميس المقبل (23 الشهر الجاري)، حيث تتكرّر معظم الأسماء ضمن قائمة تضمّ عادةً نحو عشرين شاعراً، وبالطبع كانت تسكت هذه الأصوات المعارضة إذا ما ألحقت بامسية ما، أو وُعدت بمشاركة في دورة لاحقة. هذه المرّة، ارتأت اللجنة الثقافية أن توجّه دعوتها إلى واحد وتسعين شاعراً، لعلّها ترضي الجميع، رغم أنّها مسألة مستحيلة في بلد يصل شعراؤه إلى قرابة الفيْ وخمسمئة منذ تأسيس إمارة شرق الأردن عام 1921، بحسب كتاب صدر منذ حوالى خمسة أعوام. وسيلقي المدعوّون قصائدهم على مدار عشرة أيام، في عمّان وعدد من المدن الأردنية، لجمهور لا يصل إلى العشرات في أحسن الأحوال، رغم كثرة متذوقي الشعر، الذين تحول دون مجيئهم أزمات السير الخانقة، على حدّ قول رئيس «رابطة الكتّاب الأردنيين» في آخر دورة من الفعالية نُظّمت سنة 2019.

يُنتظر في يوم الافتتاح إعلان «جائزة جريس سماوي» التي تبلغ ألفي دينار (ثلاثة آلاف دولار تقريباً)، وتزعاها الرابطة ويموّلها المهرجان، علماً بأن هذه الجائزة يتبدّل اسمها كلما رحل شاعر أردني. إذ كانت تحمل اسم الشاعر والكاتب خالد محادين في الدورة الماضية، ثم تغيّرت بعد رحيل سماوي، مدير المهرجان الأسبق، في آذار/ مارس الماضي، متأثراً بإصابته بفيروس كورونا. الفعالية الشعرية الأكبر في البلاد تختلف في التفاصيل والأرقام بين دورة وأخرى، لكنّها تعبّر في جوهرها عن ذات المشهد الثقافي الذي تتحكّم به مؤسسة رسمية تغلب على موظفيها ذائقة تقليدية في الشعر، والثقافة بعامة، لتُصبح احتفالية موسمية عابرة ترفع اسم كاتب تفضّلوا بمأسسة تصاعُ محاسنه بعد رحيله، أو مناسبة تصاعُ من أجلها خطابات رنّانة لا تفضي إلى شيء. وتُخصّص الاحتفالية هذا العام لمئوية الدولة الأردنية، مع شعار خاصّ لها، وندوة تُعقد بعنوان «الحركة الثقافية خلال مئة عام»، يتحدّث خلالها باحثان لم تخلُ صحيفة يومية وطنية، وطُبعت لهما مؤلّفات عديدة على حساب المواطن الأردني، دافع الضرائب، فيما لم تستطع هذه الكتابات أن تكرّس لليوم رواية رسمية مقنعة، لأنها تفيض بالإنشاء عند وصف الحَكم ومحاسنه، بينما تصمت حين يتعلّق الأمر بالمحطّات المهمّة والأكثر جدلاً في تاريخ الأردن.

بالعودة إلى الشعر، لا يمكن إنكار أن الإدارات الثقافية في الأردن تمتلك سمة تفتقدها العديد من البلدان العربية، حيث توزّع الترضيات على أكبر قدر من الكتّاب، لأنها خاضعة لاعتبارات مناطقية وإقليمية وجندرية يستحيل الاستغناء عنها. أمّا الشعراء العرب الخمسة والثلاثون الذين يشاركون هذا العام، فلا تختلف الآلية التي يُدعون من خلالها، فجزء كبير منهم تكرّر اسمه في دورات سابقة، أو تربطهم علاقات بـ«الفاعلين الثقافيين» في الأردن.

يحضر هذا العام كلٌّ من الشاعر زاهي وهبي من لبنان، والمنصف الوهايبي وجميلة الماجري من تونس، وحسن نُجمي من المغرب، وبروين حبيب من البحرين، وأحمد الشهاوي من مصر، وحسن المطروشي من عُمان، وفوزية أبو خالد من السعودية، وعبد الناصر صالح من فلسطين، وغيرهم.

مقسومة على الجمهور ذاته، قرّرت إدارة المهرجان إقامة حوالى ثماني عشرة أمسية شعرية، وثلاث أمسيات للشعر النبطي، وأربع للقصة القصيرة، و«ليلة من الشعر والموسيقى» يُحييها الشاعر العراقي الشعبي مامون اللوح، إلى جانب ملتقى نقديّ يتضمّن جلسة حول الآفاق الجديدة للدراما العربية، وأربع جلسات حول الرواية الأردنية، التي أعلن تخصيص جائزة لها (بقيمة خمسة آلاف دينار؛ أي ما يعادل سبعة آلاف دولار)، عُرف ابتدعه المنظّمون، ربما خلق مساراً تنافسياً جديداً بين الروائيين، ومعهم الشعراء الذين ارتحلوا إلى الرواية بعد تأسيس جوائز عربية تمنح جوائز ضخمة. لم يُعقد المهرجان العام الماضي بسبب تفشّي جائحة كورونا، وغاب برنامج الشعر معه، وكذلك الأمسيات الشعرية التي تنظّم هنا وهناك، ما خلّص المشهد من فائض المجاملات التي يتبادلها الكتّاب. هدوءٌ دام لعام تقريباً، ليعود «جرش للثقافة والفنون» بصخبه وجوائزه!

دعا المنظمون تسعين شاعراً أردنياً، لعلّهم يُرضون الجميع

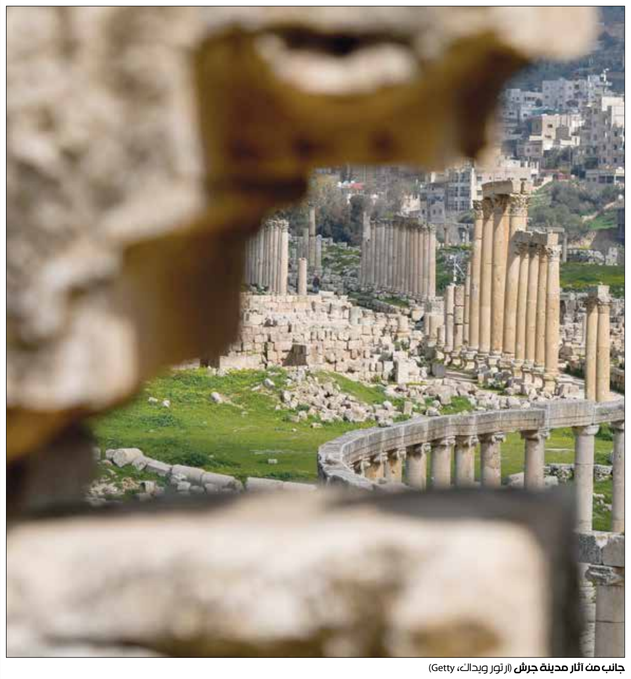

جانب من آثار مدينة جرش (آرتور ويدال، Getty)

صوت جديد

أبحث عن شخصيّات يمكن للقارئ أن ينتمي إليها

رضا الأسدي

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع وجه جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

سانا بطرسيرغ ـ العربي الجديد

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

الكتابة الجديدة هي المساحة اللامتناهية التي نعبّر فيها عن أنفسنا، نحن الكتّاب العصريين. فقد يحاول أيّ منّا أن يشرع بكتابة نصّ أدبي جديد، محمّلين برؤى عصرية عن شكل الرواية أو القصّة، تاركين خلفنا التقاليد والقوالب الجاهزة. لم يكن لجيلنا المحاولة الأولى في التجديد، فقد انشغل الكتّاب السابقون في هذا الهمّ أيضاً؛ كلٌّ منّا يطمح إلى أن يُنتج كتابة جديدة تعبّر عن مرحلته.

■ هل تشعر نفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

بكلّ تأكيد. قبل عشرين سنة، لو سأل أحد عن الرواية العراقية لكان الجواب سؤالاً آخر، لانشغال البلد بموجات من الحروب والحصار، أبعدت فكر الفرد العراقي عن المساهمة في تأليف قصص خاصّة به. لكنّ فكرة أن تكون لديك الرؤية الكافية لكي تحدّد ملامح الجيل الحالي أمر صعب، فالجيل الأدبي عبارة عن سحابة ضخمة، لا يمكن كشف تفاصيلها في اللحظة، دع رياح الزمان تدفعها بعيداً، وبعد عشرين إلى ثلاثين عاماً من الآن ستكون عندي إجابة لهذا السؤال؛ فاليوم لا زلنا بعيدين كلّ البعد عن خلق التأثير اللازم لكي نصبو إلى العالمية، علينا أن نتعلّم من أخطائنا وأخطاء الأجيال السابقة، لكي نحقّق ما أسميه بالحلم الأدبي العربي.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

بكلّ صراحة، علاقتي مع الأجيال السابقة بالأدب العربي جميلة إلى حدّ كبير، لأن تلك الكتابات تركت تأثيراً عميقاً في نفسي. و لو عدنا إلى الأجيال الأولى من الأدب العربي، في القرن الخامس أو السادس مثلاً، لوجدنا ما يفوق بجودته المحاولات العصرية، وأبسط مثال حكايات «ألف ليلة وليلة» والمعلّقات، بالإضافة إلى أنني في حبّ جبّار مع الأدب الكلاسيكي العالمي، الذي أراه وسيلة للسفر عبر الزمن، حتى نُعيش ما فاتنا.

في الأجيال الأولى من الأدب العربي ما يفوق بجودته محاولاتٍ معاصرة

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

علاقتي مع البيئة الثقافية ضعيفة نسبياً، بسبب انشغالي في عملي الأدبي بصورة عامّة، فلا أختلط كثيراً مع المثقّفين ولا أزور مقاهي المعقّدين، ومن الأسباب كذلك تفاعلي الضعيف مع وسائل التواصل الاجتماعية، فلو وجدت من يدلّني على المنتديات الأدبية في المهجر لصرت من روّادها، لكنّ الخريطة ضائعة، والكنز الاجتماعي مدفون.

رضا الاسدي

بطاقة

كاتب وشاعر عراقي من مواليد البصرة 2002. نشأ في دمشق وتعلّق بالأدب العربي في ضواحيها، ليعود بعدها إلى العراق وهو في العاشرة. يدرس الطبّ العام في «جامعة بأقلوف» في روسيا، ويُقيم في مدينة سانت بطرسبرغ. صدر له في الرواية: «سارة» (2021، «دار المعبد»).

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فعاليات

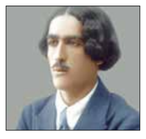

تنطلق صباح الخميس المقبل فعاليات الدورة العشرين من **معرض عمّان الدولي للكتاب** في العاصمة الاردنية، حيث تتواصل حتى الثاني من الشهر المقبل. تشارك في هذه الدورة حوالي ثلاثمئة وخمسين دار نشر، وتمّ اختيار الشاعر الاردني **مصطفى وهبي التل**، الملقّب بـ«عرار» (1899 – 1949/ الصورة)، شخصية للمعرض.

يعقد «المتحف القومي للحضارة المصرية» بالقاهرة، عند التاسعة من صباح الاحد المقبل، ندوة تستمر يومين، بعنوان **معايير الحفظ والترميم وتطبيقاتها**. تتناول الندوة تكية **إبراهيم الجلشاني** التي شُيّدت أوائل القرن السادس عشر، ويشارك فيها الباحثون **بابلو لونغوريا**، و**جيف اليت**، و**فاليري مغار**، و**اسامة طلعت**، و**ماريا خوسيه**، و**ورنر شميد**، و**رامون رويبو**، و**مي الإبراشي**.

يُقام عند الثانية من بعد ظهر الاحد المقبل، في فضاء «كوايسايد ميديا سيتي» بلندن، حفل موسيقي لـ«**فرقة النيل**» ضمن فعاليات **مهرجان الفنون والثقافة الإسلامية**. تقدّم الفرقة التي تأسّست عام 1981 اغانيَ تنتمي إلى التراث العربي والكردي والتركي و تضمّ عازفين من مصر وسورية و تونس وبريطانيا.

يُفتتح اليوم في «غاليري صالح بركات» ببيروت معرضٌ بعنوان **أبيض** للفنانة اللبنانية **عفاف زريق** (1948)، حيث يتواصل حتى السادس عشر من الشهر المقبل. ترصد الفنانة، التي تحمل درجة الماجستير في الفن الإسلامي، تأثيرات العزلة على الفرد من خلال رسم البور تريه وأعمال تمزج بين التشخيص والتجريد.